

المبحث الأول أهمية البحث التاريخي، التاريخ بصورة عامة هو بحث واستقصاء الماضي، ولكل نظام اجتماعي تاريخه الخاص، لأن الإقرار بمدة التطور معناه أن المجتمعات تنمو وتتغير عبر الزمان وطالبوا باستخدامه في البحوث الاجتماعية، من منطلق أن تجريد الظاهرة الاجتماعية من بعدها التاريخي يجعلها، وكأنها حدث عابر لا حياة فيها، أيضا فإن غياب البعد الزمني للظاهرة يقلل من قدرة الباحث على استشراف امتدادها المستقبلي وعندما نتحدث عن التاريخ لا نقصد الأعمال الفردية المحض بل نقصد الأعمال الجماعية، يجب أن نميز بين الماكرات، أي الأحداث الفريدة، أي الأحداث المستعادة أو المتشابهة، فعليه أن يبحث (1) عن المتشابهات الثابتة كما تفعل بقية العلوم وكل شيء هو في حالة قلب، وتحول، بل هي قاسم مشترك بينها. جميعا، لأنها تتناول مجمل نواحي الحياة الإنسانية وتطور النظم الاجتماعية، والتحول في المفاهيم والقيم الاجتماعية، ويرجع الفضل لبعض المفكرين في تسليط الضوء على البحث التاريخي. : ابن خلدون، اهتم ابن خلدون بالتاريخ ونقد موقف المؤرخين وأسلوب تعاملهم مع الحدث وخصص جزءاً مهماً من مقدمته المشهورة للبحث التاريخي. فانطلق أولا بتعريف التاريخ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، عريق (2). ويفصل ابن خلدون المنهج التاريخي عن علم الكلام والخطابة اللذان سادا عصره حيث يقول: "عن الكلام في هذا الغرض - البحوث التاريخية الاجتماعية - ليس من علم الخطابة الذي هو أحد العلوم المنطقية - علم البلاغة - فإن موضوع الخطابة إنما هو الأقوال المقنعة النافعة في استمالة الجمهور إلى رأي أو صدهم عنه. ولا هو أيضاً فيعلم السياسية المدنية إذ السياسية المدنية هي تدبير المنزل أو المدينة بما يجب بمقتضى (3) "الأخلاق والحكمة واعتبر ابن خلدون أن المنزل الذي يقع فيه المؤرخون والذي يضعف الروايات التاريخية، هو الخطأ والزيغ والكذب، وقد أجمع أسباب الكذب في الخبر وقبول الأخبار الزائفة فيما يلي، فإن النفس إذا كانت على حالة من الاعتدال في قبول الخبر، أعطته حقه من التمهيص والنظر، حتى تبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها من الانتقاد والتمحيص، فيقع في قبول الكذب ونقلها أيضاً من مزالق المؤرخين المتعلقة بذاتهم هم منافقة من في السلطة حيث، وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، وتستفيض الأخبار على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء، والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها (4) وأثره، وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها، ثانياً: الأسباب الناجمة عن ثقة بعض المؤرخين بالناقلين - الرواة - دون تمحيص. أي دون نقد بواسطة منهجية - التعديل والتجريح ثالثاً: أسباب الكذب في الخبر الناجمة عن "الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بمن عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه، فيقع (5) في الكذب رابعاً: الأسباب الناجمة عن "توهم الصدق". وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين خامساً: الأسباب الناجمة عن الجهل بالقوانين التي تخضع لها الظواهر الطبيعية كظواهر الكيمياء، والطبيعة والحيوان والنبات، والسبب في ذلك، "الجهل بطبائع الأحوال في العمران فإن كل حادث من الحوادث ذاتاً أو فعلاً، لا بدله من طبيعة تخصه في ذاته، وفيما يعرض له من أحواله. فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك فيفحص الخبر فيكو بعد فيكو العالم الإيطالي، من أهم الذين اهتموا بالدراسات VICO- على تغييز الصدق من الكذب، (6) يعرض 1668- 1744 التاريخية، حيث أبرز في كتابه عن العلم الجديد (7) اهتماماً واضحاً بالبحث التاريخي خصوصاً الجانب الاجتماعي منه، فلم يقتصر اهتمامه بالحروب والمعاهدات والتحالفات، بل درس أيضاً العادات والقوانين والأنظمة الاقتصادية والاجتماعية، وحتى اللغة والفنون والديانات والأفكار، وكانت قاعدته الرئيسة التي أثرت في العديد من مفكري وفلاسفة القرن. "التاسع عشر هي" إن الناس يصنعون تاريخهم الخاص إلى مرحلة الإنسانية، ويرى أن هذه، الحالات تتعاقب بشكل دوري منتظم حيث أن الحالة الأخيرة تمهد لظهور الحالة الأولى وتعاقب هذه الحالات أو الدورات يمثل في رأي فيكو قانوناً عاماً تخضع له حوادث. "التاريخ عند سائر الأمم وعلى الأخص الأوروبية هذا وقد دعا فيكو في كتابه المشار إليه، إلى ضرورة استنباط النظريات الاجتماعية: من الحقائق التاريخية، وحدد القواعد الأساسية للمنهج التاريخي كما يلي 1- تحديد الظاهرة المراد دراستها، وتحقق هذه الظاهرة خلال تطورها التاريخي. المعرفة القوانين التي تحكمها 2- جمع الوثائق المتعلقة بانظاهرة سواء تعلقت بالدين أو التقاليد أو العادات، وكل. مكنالاستعاضة عن ذلك بالأقوام المعاصرة التي تعيش في نفس المستوى الذي. كانت عليه الشعوب البدائية والاستدلال بما هو معروف عما هو مجهول. 5- توظيف علم دراسة اللغات للتأكد من صحة الوقائع التي يذكرها المؤرخون 6- أخيراً يقوم الباحث رايت ميلز يعد ميلز من العلماء المعاصرين الذين Wright Mills. بتصنيف الحقائق والتأليف بينها للوصول إلى معرفة القوانين نقلوا البحث الاجتماعي إلى فضاءات جديدة لم يدرج العلماء السابقون على أخذها بعين الاهتمام، حيث صاغ مفهوم الخيالوالا السوسيولوجي جديدة تساعد الباحثين على تطوير رؤيتهم التاريخية، ويقصد Sociological imagination اسوسيولوجياً حثية

بها ميلز: قدرة الباء الفكرية على فهم الصورة التاريخية الكلية للإنسان والمجتمع أخذًا بعين الاعتبار الظروف الداخلية والخارجية ومتحورا من استلاب الواقع الراهن ومتعمقا في الأبعاد التاريخية. لهذا الواقع ويرى ميلز أنه من العسير على الباحث دراسة الظواهر الاجتماعية بمعزل عنسياقها التاريخي، فالعلوم الاجتماعية تتعامل في نظرة مع جوانب ثلاثة مترابطة مع بعضها البعض، وهي تاريخ الحياة، ويستطرد قائلا: "إن علم الاجتماع الذي يستحق بالفعل هذه التسمية هو. (9) علم الاجتماع التاريخي ولقد ساعدت كتابات ميلز على عودة الروح للدراسات التاريخية ، وبدأت حثا للدراسات الاميريكية تستعين بالمنهج التاريخي لأخذ العبر، واستخلاص القوانين، وربط الماضي بالحاضر لزيادة القدرة على استشراف افاق المستقبل